مجلة فكرية ابداعية

مجلة شهرية تصدر مؤقتا ست مرات في السنة
السنة الخامسة ــ العدد السابع عشر ــ 1980

المدير المسؤول : محمد بنيس

هيئة التحرير : محمد البكري
مصطفى المسناوي
عبد الله راجع

العنوان :
ص. ب. : 505
المحمدية ــ المغرب

الموضـوعـات :

* لقاء

لست بعيدا عنكم
قاسم حداد 4

* دراسات

إطلالة على علم المعرفة المعاصر (القسم الثاني)
توفيق السعيدي 17
حول الاحتفالية
إرشاد حسن ــ عبد الرحيم الشريف 38
البنيوية والتاريخ
أضولفو باسكيز 61

* شعر

جغرافية الفيضانات
عبد الله راجع 80
قصيدتان
خالد النجار 99

* قصـة

الحديث الأول لمسعود بعد اليوم
محمد منصور الرقاق 103

* من تراثنا الحديث

افتتاحية مجلة « السلام » (1933)

ملاحظات حول مقرر الفلسفة بالثانوي
مرشد محمد 115

* كتب، متابعات، بيانات، أخبار.

الاشتراكـات :

ابتداء من هذا العدد، سوف تشرع « الثقافة الجديدة » بالصدور ست مرات في السنة بدل أربع، الشيء الذي استدعى بعضا من الزيادة في قيمة الاشتراكات السنوية التي صارت على النحو الآتي :

المغـرب :

الاشتراك العادي : 30 درهما
اشتراك المؤسسات : 75 درهما

الأقطار العربية وأوروبا :

الاشتراك العادي : 75 درهما.
اشتراك المؤسسات : 225 درهم.
إشتراك المساندة : ابتداء من 50 درهم

تبعث الاشتراكات باسم
محمد بنيس
الحساب البريدي : 1.383.41 الرباط

1 ــ المقالات التي تنشر في المجلة تعبر عن رأي كاتبيها.
2 ــ المقالات التي لم تنشر لا ترد الى أصحابها.

لقاء مع الشاعر قاسم حداد

لست بعيدا عنكـم

س : لنبدأ بالوضع الثقافي العام في البحرين ، هل من الممكن تحديد بعض ملامحه وقضاياه الدالة ؟

• • هناك انطباع قديم لكل من يسمع أو يعرف عن البحرين ، ويكاد يكون هذا الإنطباع جزءا من تاريخ البحرين.

الإنطباع هو أن البحرين هي البلد الأبرز في منطقة الخليج من حيث النهضة الثقافية والوعي والفعاليات الفكرية.

وهذا الانطباع له مبرره طوال الوقت ، لأن الحركة الثقافية كانت ولا تزال زاخرة بالفعاليات ، فمنذ أوائل هذا القرن كان أبناء الخليج يفدون على البحرين لتلقي العلم والاشتراك في النشاطات الأدبية الخصبة ، حيث كانت الأندية الأدبية والثقافية وكانت الصحافة مزدهرة ، وقبل هذا كله كان التعليم هو المشعل الأول الذي بزغ من البحرين. وكان أدباء البحرين يتواصلون أيضا مع أدباء الوطن العربي في الشام والعراق والجزيرة العربية ولعل المفاجأة التي أصيب بها الأديب أمين الريحاني عندما زار البحرين وقتها هي التي كرست عند الجميع هذا الانطباع التقليدي فقد كان الوضع الأدبي والثقافي في البحرين وقت زيارة الريحاني في واحدة من ذروات فعالياته.

وحتى الآن. في السنوات الأخيرة (الستينات والسبعينات) اجتازت الحركة الثقافية والأدبية في البحرين مراحل عميقة وخطيرة بحيث تستطيع الآن أن يتلمس تلمس مدى التطور الذي وصلت اليه الحركة الفنية على الصعيد التشكيلي ، وكذلك الأعمال المسرحية. وتأتي الحركة الأدبية في مقدمة هذه الانجازات الجذورية الواعية. فقد بدأت حركة الأدب الجديد منذ أوائل الستينات حيث إستطاع القارىء البحريني أن يتعرف على أصوات أكثر جدة وعمقا في مجال الشعر والقصة والمقالة والنقد الأدبي الى حدٍّما. وبدأت المؤلفات الأدبية الجديدة تصدر، تباعا لتؤسس لرؤية فنية جديدة ومغايرة لكل ما هو سائد من قبل. ولعل من أبرز ملامح الفعاليات الجديدة هو ولادة التجمع الأدبي الجديد عام ١٩٦٩ وهو (أسرة الأدباء والكتاب). هذا التجمع الذي التفت حوله وفيه كافة الأصوات الموهوبة والواعدة متميزة برؤية اجتماعية تقدمية ذات أفق فني يطمح لمغايرة المألوف. وبدأت المعطيات تتنوع وتتالى بنشاط وفرح وحماس. وقد تتفاوت هذه الأصوات الأدبية الجديدة في الدرجة والنوع أيضا. ولكنها تتفق

بالأساس على تجاوز الواقع فنيا وإجتماعيا.

لكن الأكيد أن الجمهور البحريني قد عبر بعمق وعاطفية في ذات الوقت ، عن إلتفافه حول الأدباء الشباب وكتاباتهم وفعالياتهم. فتوسعت قاعدة الجمهور الذي يتابع ندوات وأمسيات أسرة الأدباء ، وانتشرت مؤلفات الأدباء الشباب سريعا ، وقد ساهم هذا التعاطف الغامر مع حركة الشباب الجديد في إعادة النظر في مجمل النظرات الأدبية السائدة من قبل ، الأمر الذي تسنى للجمهور بواسطته أن يتخذ موقفا نقديا تجاه الأدب السابق. ذلك الأدب الذي غلبت عليه القصورات فكرا وفنا. فقد كان ذلك الأدب (رومانسيا) في أفضل نماذجه ، وحين نقول رومانسيا هنا يجب أن لا يفهم فيه ذلك المفهوم المقياس الفكري الثوري الذي اجتاح الأدب العالمي ، لكنه هنا يعني الموقف السلبي من قضايا الحياة ، ذلك الموقف الذي لا يحمل طموح الانسان في تجاوز واقعه ، بل كان ذلك الأدب في معظمه مساهمة في تكريس الواقع ليس غير.

لذلك كان موقف الجمهور من أدب الشباب مفهوما ، اذا عرفنا درجة الرفض والثورة والرغبة في التغيير التي حملها الأدب الجديد. مما عبر بصدق عن طموحات الجماهير الشعبية التي ذاقت مرارة العذاب طوال السنوات ، دون أن تجد في طروحات الأدب السابق ما يعبر عنها.

من هذه الشرفة أرى من الضروري الاشارة الى أن ذلك (الانطباع) التاريخي عن البحرين يحتاج الى مراجعة ومزيد من الدقة. ليس لأن البحرين لم تكن متقدمة في النهضة الثقافية ، ولكن تلك (النهضة الثقافية) لم تكن (واحدة) أولا ، ولم تكن مجردة من الظروف الاجتماعية والسياسية التي ترافقها ثانيا.فلم تكن تلك النشاطات مفصولة عن الملابسات القمعية التي تقع على الجماهير الشعبية. فعندما يقال إن البحرين تميزت عن سواها من مناطق الخليج العربي ثقافيا وأدبياً ، ينبغي في ذات الوقت القول انها أيضا عانت كثيرا لكي تتفرد بهذا التميز والتفرد. لأن تجاوز هذه الحقيقة يشكل محذورا خطيرا من شأنه أن يكرس حقائق غير علمية ، تصير جزءا من تاريخنا ، في حين أنه ليس كذلك.

فنحن نرى أن الإعلام الرسمي هو الآخر يؤكد على هذه الظاهرة. ظاهرة تقدم البحرين عن سواها ثقافيا (وحضاريا أيضا). وهذا يعني ، نتيجة ، أن هذه الظاهرة كانت طوال الوقت تتحرك في ظروف مواتية ، إجتماعيا وسياسيا ، مما يكرس الطابع الليبرالي للحكم القائم ، كما لو أن الفعاليات كانت (جميعها) تتحرك بحرية ودون إشكالات. وهذه ليست الحقيقة في كل الأحوال.

لذلك أرى أنه ليس صحيحا إعتماد ذلك (الانطباع) كمدخل لكل حديث عن **الوضع الثقافي في البحرين طوال هذا القرن. لأن تجاوز التفصيليات خطيئة تؤدي دوما الى نتائج خاطئة ومضادة للواقع.**

ولعل أكبر دليل (وأخطره) على صحة ما أقول هو الواقع الراهن الذي تعيشه حركة الأدب والثقافة عموما في البحرين. فعندما يجري الكلام على نشاط الأدب وصحته وتطوره وطموحاته، لابد من التأكيد على حقيقة كون هذا الأدب يتحرك بصعوبة تشابه الحرب في ظروف غاية في القمع والعنف والحصار الى درجة أن مجرد إقامة ندوة أو أمسية تحتاج لمراجعة طويلة تمر بثلاث وزارات (إعلام ، شؤون اجتماعية ، داخلية) وتواجه أخيرا بحظر اقامة هذه الندوة أو الأمسية، هذا اذا كانت أسرة الأدباء أو من يتصل بها يريد اقامة هذه الفعالية ، ولكن في الوقت نفسه هناك ندوات وأمسيات وغير ذلك تقام من قبل مؤسسات رسمية كوزارة الاعلام وماشابهها. مثل هذا الواقع لا يمكننا الكلام عنه بعموميات ساذجة.

س : الى أي حد يمكن الحديث عن جذور هذا الوضع !؟

•• جذور هذا الوضع موغلة في المجتمع. موغلة في الحياة المعاصرة. في البحرين من الصعوبة الكلام عن الأدب والثقافة الحديثين دون الكلام عن الجذور. كما لو أن الأدب بذاته جذور طالعة الى الأعلى.

طوال الوقت كان للشعب أدبه وللحكام (أدبهم). هذه الحقيقة يمكن رصدها منذ الأجداد الذين كانوا يعملون في الغوص لصيد اللؤلؤ ، ويعانون أكثر أنواع العذاب وحشية. وقتها كان لهم أدبهم الحار والجارح أحيانا كثيرة، حيث الموال الشعبي هو ديوان آلامهم ومتنفسهم الصادق. وكان ذلك هو الشعر الشعبي الحقيقي الذي لا يضاهي الآن بلغته.

ولم يتوقف عذاب وقهر الشعب طوال هذا التاريخ. وأيضا لم تتوقف انتفاضات الشعب وثوراته ، التي قد تتفاوت في الدرجة ولكنها لا تختلف كثيرا في النوع. وترافق أحيانا مثل هذه الانتفاضات (أو تتبعها) عطاءات أدبية متفاوتة. لكنها تعبر عن الهموم الأساسية لهذا الشعب المقهور. ومنذ ذلك الوقت مرت العطاءات الأدبية بمراحل عديدة من العمق والأصالة حينا ، والبساطة والسذاجة حينا آخر. بجانب ذلك بدأ يبرز الأدب الرسمي المستريح الذي يمتص النقمة ، ويخدر ويؤجل في أفضل الأحوال. وعندما تجتاح البحرين موجة من المد الوطني النضالي. كان الأدب يخوض هذه النضالات التعبيرية بوسائله المتوفرة.

ولعلنا نستطيع (تاريخيا) ان نلمس البداية الحقيقية للأدب الجديد في أوائل الستينات ، حيث كانت بعض النتاجات الأدبية ترهص بالزخم الثوري للجماهير. ثم جاءت انتفاضة ٦٥ لتتوج ارهاصات تلك الكتابات الصغيرة ، وتؤسس في ذات اللحظة للبداية الحقيقية للأدب الجديد. حتى اننا غالبا ما نرى بعض الشباب يؤرخون لبدايات ولادتهم الأدبية من عام ١٩٦٥. اذن هذه الانتفاضة ساهمت في تكريس أدب جديد ينتمي ويلتزم بالشعب دون مواربة أو تردد. وهذا بدوره أدى الى فرز موضوعي لمجمل الكتابات المطروحة في الساحة الأدبية، بحيث لم يعد ممكنا الخلط أو الإلتباس أمام الجماهير، ولم تعد تنطلي محاولات الاعلام الرسمي للترويج للأدب الرجعي أو المضاد وتكريسه. وطوال هذه السنوات تأسس إتجاه أدبي وثقافي امتدت جذوره في هموم وطموحات الشعب ، وخلق حساسية فنية جديدة ، توازي الحساسية الاجتماعية التي يتميز بها الشعب البحريني. فأنت الآن لا يمكنك الحديث عن نضال الشعب البحريني لنيل حرياته ، دون أن تتحدث عن أدب هذا الشعب ، والعكس صحيح تماما.

س : يمكن أن نتقدم أكثر لنقترب ، من حرية الرأي والتعبير ، أي علاقة السلطة بالكتابة.

•• على ضوء ما تقدم. كيف يمكنك تصور الوضع ؟؟ انه ذاته الذي يحدث في بلدان العالم الثالث. ولكن في البحرين تأخذ المسألة حدة أكثر ومأساوية أيضا. ان مجرد الكلام هنا عن حرية الرأي والتعبير من قبل الشباب يعتبر جريمة ، لاشك أن هناك قانونا يعاقب عليها. (لاحظ أنني أقول يعاقب وليس يحاكم)

يبدو لي أن الحديث عن هذا الموضوع باطلاقاته سيكون تعميما يقع في احتمالات الشك أحيانا ، لذلك سأكتفي برصد ظاهرات واقعية اعتقد أنها تصلح نماذج لما أريد الاشارة اليه :

° في البحرين لا يستطيع أي شخص أن يطبع كتابا (مهما كان نوعه) دون أن يحصل على إجازة من وزارة الاعلام ، بعد مراقبة هذا المطبوع.

° وقانون المطبوعات (الجديد) الذي صدر في نهاية العام الماضي ينص على محاكمة أي شخص يطبع كتابا داخل أو خارج البحرين ، كما يحاكم موزع الكتاب أو ناشره أو حائزه ، اذا كان هذا الكتاب غير مجاز من وزارة الاعلام.

° منذ تأسيس أسرة الأدباء والكتاب حتى بعد مرور حوالي ستة أعوام كان ترخيصها يجدد سنويا ، ولم تكن مرخصة بشكل دائم.

° منذ تأسيسها ، ومازالت ، تحاول أسرة الأدباء الحصول على إجازة لاصدار مجلة أدبية متخصصة ،تعنى بشؤون الأدب والثقافة ، ولكن السلطات ترفض اعطاء هذا الترخيص ، مع العلم أن مجلة من هذا النوع غير متوفرة في البحرين حتى الآن.

° يتخذ رؤساء تحرير الصحف المحلية موقفا تعسفيا إزاء نشر انتاج الشباب على صفحات الجرائد ، ويقوم رئيس التحرير عادة بدور الرقيب كما لو كان (شرطيا) وكثيرا ما يرفض نشر الانتاج بحجة طبيعته المناهضة للسلطة.

° يتعرض الأدباء الشباب للاعتقال والملاحقة والتحقيق نتيجة لنشرهم مؤلفاتهم أو مساهمتهم في فعاليات أدبية.

° حتى في حالة إجازة ديوان شعر (مثلا) من طرف وزارة الاعلام ، نجد أن الشاعر يتعرض للاعتقال والتحقيق بعد نشر الكتاب، دون الاعتراف بالاجازة الرسمية الذي حصل عليها الشاعر من جهة الاعلام.

° إن مجرد إقامة ندوة أو أمسية بترتيب أسرة الأدباء أو من يتعاون معها ، يمثل صعوبة ، حيث يستدعي ذلك استصدار ترخيص من عدة جهات رسمية. تبدأ بوزارة الاعلام وتمر بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ولا تنتهي بوزارة الداخلية (!؟) لأن الأخيرة تمنع إقامة مثل هذه الفعاليات. فمنذ حوالي العشرة أشهر لم تتمكن الأسرة من إقامة مثل هذه الفعاليات.

° تطلب وزارة الداخلية نصوص القصائد (إذا كانت هناك أمسية) أو نسخة من المحاضرة ، لمراقبة ما سوف يطرح في هذا النشاط. وللوزارة الحق (طبعا) في حذف ما ترى حذفه ، اذا سمحت بهذا النشاط أصلا.

° لا تستطيع أسرة الأدباء والكتاب أن تشارك في مؤتمرات أدبية وثقافية عربية وعالمية

بدون إذن رسمي من وزارة الاعلام والداخلية ، واذا طلبت الأسرة إجازة للمشاركة في أي مؤتمر ، يصدر لها أمر بالرفض.

° لا يستطيع أي شخص أن يعمل في مجال الصحافة إلا بعد أن يحصل على إجازة رسمية من وزارة الاعلام. (ووزارة الاعلام تعني في جميع الاحوال وزارة الداخلية).

° في مجال المسرح. لا يمكن البدء في عمل تمرينات على مسرحية إلا بعد أن تحصل الفرقة على إجازة من وزارة الاعلام بعد مراقبة النص ، وحذف ما ترى حذفه.

° حدث كثيرا أن منعت الرقابة نصوصا مسرحية ، محلية وعربية وعالمية ، بعد الاطلاع عليها.

° وحدث كثيرا أيضا ، أن الفرقة المسرحية تحصل على إجازة على نص ما. وتبدأ في عمل التمرينات ، وقبل ليلة العرض بيوم واحد أو أكثر ، يصدر قرار بحظر العرض. بعد أن يبذل الممثلون جهدا ووقتا لانجاز هذا العمل.

هذه إذن علاقة السلطة بالكلمة. بالطبع هناك وقائع أخرى عديدة لا يحضرني الآن ذكرها. لكن الأكيد أن (النهضة الثقافية) التي تتفرد بها البحرين ، كما هو (الانطباع التاريخي) لا تتحرك في ظروف مواتية ، واذا كانت الحركة الثقافية في البحرين تتفرد بتطورها. فهي أيضا تتفرد بقدرتها على الصمود والمواجهة ، ليس لأن معركتها سهلة ، ابدا ، ولكن لأن ارتباطها اليومي والعميق بحركة النضال حارة ومستمرة. ولا خيارات أخرى مطروحة أمامها. ليس سوى ذلك الفرز الحاسم الذي فرضته تجربة الواقع عبر السنوات العشرين الأخيرة :
إما سلطة الكلمة ، أو كلمة السلطة. ليس بينهما منطقة محايدة. ولعل السلطة اكتشفت ذلك أخيرا، لذلك فهي ممعنة في القمع وتعمل على تقنينه وتكريسه في قوانين تنظم تنفس الكاتب. تنفسه وهو يختلج بحرية قبل الموت.

السلطة تتحسس جيب مسدسها عندما تسمع كلمة ثقافة ، والكاتب يشحذ كلمته على الدوام. وعندما تسمعون عن إعتقال شاعر أو قصاص أو صحفي ، فهذا ليس كثيرا. فان الشاعر سعيد العونياتي قد استشهد تحت التعذيب عام ١٩٧٦ هل سمع أحدكم عن سعيدالعونياتي ؟! حسنا نحن نسمع جيدا عن عبد اللطيف اللعبي وعبد القادر الشاوي وسمعنا أخيرا عن عبد الله زريقة.

هذا هو الوحش في العالم الثالث ، ومن يعتقد أن الوحش سوف يداعبه، سيرتكب خطيئته الأخيرة.

س : من الواضح أن البحرين يمثل طليعة ثقافية ما تزال مهمشة في الأعلام العربي. كيف ينظر الكتاب البحرانيون الى هذه العلاقة غير المتكافئة بين المركز الثقافي وهامشه ؟

•• حديثنا السابق كان عن الحصار في الداخل ، بقي أن نوضح شيئا عن الحصار في الخارج. الكلام عن الاعلام العربي يستدعي بعض التشخيص. هناك إعلام وإعلام.

— الاعلام الأول ، هو الاعلام الرسمي التابع مباشرة للأنظمة السائدة. ذات العلاقة

المتصالحة مع الوضع الراهن ، الوضع الراهن يعني تكريس ما هو موجود ، كما تقبله السلطات في عموم البلاد العربية. هذا الاعلام ، ما دام متصالحا مع نظام بلد ما ، فانه يهتم (أكثر من النظام نفسه أحيانا) بعدم توصيل أدب وثقافة (الخارجين) على هذا النظام. لأن العلاقات السياسية بين النظامين لا تحبذ ذلك. (ذلك) يمثل خرقا للاتفاقيات الثنائية (والثلاثية.. والجماعية أيضا) المبرمة. اذن. هذا الاعلام، لا يمكننا المراهنة عليه لأنه الاعلام الرسمي للسلطة.

— والاعلام الثاني ، هو أجهزة الصحافة الضخمة التي تنتشر في معظم البلاد العربية ، ولكن تمثل بيروت دائما محورها الأساسي. ويبدو لي أن هذا الاعلام أخطر كثيرا من الاعلام الرسمي ، ليس لأنه يدعي الاستقلالية، والديمقراطية ، ولكن لأنه غالبا ما يتاجر في مثل هذه الشعارات. هذا الاعلام له عين واحدة فقط. وهذه العين لا ترى في الخليج سوى النفط وتجاره. فأنت لا ترى هذه الصحافة إلا وهي تتحدث عن نفط الخليج ومعطياته وأسباب الحصول على المزيد من هذه المعطيات. هذه النظرة تجعل الصحافة تقع ، وباصرار ، تحت طائلة النفط. فتصير بذلك صحافة اعلام يكاد يكون رسميا أكثر من صحافة الدولة. وهذه الصحافة بالطبع تغرق في السياسة كثيرا. وأهم ما تعرفه ، ان في هذه البلاد توجد أحداث (أخرى) غير أصوات النفط وملحقاته. وهي تفهم جيدا ، أنه اذا أرادت أن تحصل على المزيد من معطيات النفط ، لابد لها قبل كل شيء أن تتفادى نشر ما يعكر مزاج أنظمة هذه الدول. ومن الطبيعي أن نشر أصوات الرأي الآخر (غير النفطي) سيعكر مزاج الدولة. وبالتالي ستحرم الصحيفة من دخول هذه الدولة أو تلك. ستحرم من الاعلان. من المكافآت. ومن رأس المال أيضا. ولا يغيب عن البال أن العديد من دول الخليج ورجالاته المتنفذة (اقتصادا وسياسة) يملكون اسهما ورؤوس أموال عدد من الصحف التي تصدر في بيروت.

إذن ، كيف نتوقع ، في مثل هذا الوضع ، ان تنشر هذه الصحافة أدب وثقافة من يسمونهم (خوارج) في بلدانهم ؟! أما الجانب الآخر من الصحافة ، وهي الصحافة الأدبية ، فان الأمر هنا يبدو أكثر بؤسا ، ليس لأن السبب السياسي هو المتسلط عليها فقط ، ولكن ايضا لأن السبب (الأدبي) يبدو أكثر تسلطا أيضا. والسبب الأدبي هنا لايمت الى الأدب إلا من باب الاصطلاح، لأن المقاييس ليست أدبية على الاطلاق. الصحافة الأدبية في عموم البلاد العربية تقع تحت سلطة الطوائف وما دامت الطوائف هي التي تحكم عالم السياسة ، فإنها أيضا هي التي تحكم عالم الأدب.

الأدباء الشباب في البحرين يفهمون المسألة جيدا. أنهم محاصرون في الداخل. هذا صحيح ومبرر ، موضوعيا ، لكن الحصار على صعيد الصحافة الأدبية ، يبدو أكثر تعقيدا ولا مبرر له •

لكن الصحف الأدبية والمتخصصة، لا تعترف باسماء جديدة، ومجهولة، انها تهتم بالأسماء المعروفة أولا وأخيرا. ولا تجازف بنشر أي قصيدة أو قصة لشخص غير معروف، أو غير قادر على الحصول على تزكية أحد بطاركة الأدب.

وهذا بالطبع ينطبق على دور النشر أيضا. فإن دور النشر تطبع وتوزع لمن تضمن أنه (يبيع). لكن اذا جاءها أي شخص من الخليج تفوح منه رائحة النفط (بمعنى أنه يدفع كثيرا) فانها تطبع له.

في مثل هذا الوضع نتحرك واعين لمجمل الظروف، محتفظين بقناعاتنا دون تنازل عن أي شرط أدبي أو فكري. الأدباء الشباب في البحرين لا يؤمنون بالانضواء تحت راية أية طائفة ، وليس في نيتهم ذلك مستقبلا ، إلا من هو مخلوق لذلك.

الأدب البحريني ما زال في هامش الاعلام العربي ، في معظمه، هذا صحيح. وهذا أيضا لن يسيء الى أدبنا. ما دام الوضع بهذا الشكل. وحين نجد الفرصة متوفرة لأن نصل الى القارىء العربي بدون التنازل عن شروطنا، فإننا لن نتردد.

إننا ننظر الى تجربة الثقافة المغربية وتجربتها مع الاعلام العربي بإهتمام واحترام. ونرثي لحالة الذهول التي أصابت الاعلام العربي عندما اكتشف الثقافة المغربية ، كما لو أنه يكتشف مخلوقات من كوكب آخر، وعندما نرى الاعلام يتهم الاستعمار والرجعية بأنها السبب في القطيعة والانفصال بين المشرق والمغرب ، نتأكد أن هذا الاعلام نفسه ليس فوق مستوى الشبهة. ترى هل كان علينا أن ننتظر كل هذه السنوات ، لكي تهاجر بعض الصحافة اللبنانية الى فرنسا من أجل أن يتسنى لها (اكتشاف) الثقافة المغربية ؟! حسنا ، أخشى أن نكون نحن أيضا في حاجة الى صحافة تهاجر وتكتشف ثقافة عربية أخرى في الخليج.. لكي يتأكدوا أن الخليج ليس نفطا فقط !!

س : في لبنان وسوريا والعراق يتناولون الحداثة. كيف تفهمونها في البحرين ؟!

** في البحرين تجري نقاشات كثيرة حول الحداثة، تحت تسميات مختلفة ـــ باسم الأصالة حينا ، وباسم التوصيل حينا آخر ، والتجديد أحيانا أخرى . لكن الواضح أن الحداثة هي هاجس جماعي ، حتى بالنسبة للذين يقفون بتحفظ من هذه المسألة.

لكن كيف تفهم الحداثة عندنا ، فانها مسألة ليست واحدة ، هناك مفاهيم مختلفة. استطيع أن أعبر هنا عن المفهوم الذي يعتبر الحداثة جزءا من الابداع. فانت لا تستطيع أن تبدع بأدوات وأساليب موروثة. لأن مثل هذه الادوات قد استنفذت وتم الابداع بها في الماضي. الآن صارت غير قادرة على استيعاب المعطيات الجديدة للابداع. وحين نقول الادوات والأساليب لا نعني اللغة ذاتها ، ولكن الرؤيا التي توظف هذه اللغة. الحداثة اذن لغة برؤيا جديدة. والرؤيا هنا أكثر قدرة للتعبير عن المطمح الفني لأدائية الأدب. فان (الرؤية) تقترب من البصر، في حين نحن نتجه الى ادائية البصيرة. لذلك أجد أن كلمة رؤيا أكثر اقترابا من الطموح الجديد لاحداث الابداع بلغة ذات رؤيا جديدة. من جهة ثانية ، حين نقول حداثة لا يجب أن نعتقد بأن ذلك اسقاط للقديم العربي ، والتحاق بالحديث غير العربي ، والأوربي بشكل خاص. الحداثة لا تبدأ من هنا. نحن نرى أن الحداثة ، كفعالية ، لم تتوقف عبر كل عصور الأدب العربي الحية. فما دامت الحداثة هي هاجس التجاوز والخروج عن الساكن السائد ، فإننا نستطيع ان نكتشف عند أبي تمّام بذورا للحداثة كما في جانب كبير من ابداعات الفكر العربي من العصر الأموي والعباسي حتى إشارات التوحيدي مرورا باعلام المتصوفة، دون أن ننسى عبد القاهر الجرجاني الذي ما زال معاصرا برؤيته النقدية الدقيقة والحساسة. كل ذلك يمكن أن يمثل انطلاقات جيدة لتحقيق قدر كبير من الحداثة الجديدة.

بعد ذلك وأثناءه تستطيع بكل حرية أن تتعلم كثيرا من الثقافة العالمية والأدبية المعاصرة. يقينا بأن الحداثة ليس مفهوما عربيا بالمعنى الضيق. انت لا تستطيع أن يكون عربيا مفصولا عن العالم. لكن ان (تنسخ) التجارب الأدبية الحديثة ، وتعتقد بأن ذلك هو الحداثة ، فانك ستقع حتما في خسارة اكتشاف الجديد بنفسك. ان الحداثة لا تنفصل على الابداع إطلاقا. والابداع هو أن تكون واعيا لمهمتك. متسلحا بأدوات معاصرة. غير منسوخة. ونفهم الحداثة فيما نفهمه أيضا ، انها تجاوز السائد المستكين القابل المقبول . وعندي أن حالة الاستنفار التي يعلنها الناس في مواجهة أي ابداع جديد — باعتباره غريبا ، يمثل بالنسبة لي مقياسا ، لكي اعتقد بأن هذا الانتاج إبداع ينطوي على الحداثة ، أو على قدر منها. لأن كل جديد غريب ومدهش. ان تردد القارىء إزاء أي تجربة أنجزها لا يخلق إحباطا عندي ، ولكن يهيىء لي مناخا صحيا للايمان بأن طريقي هو الطريق الصحيح ، فأنطلق.

س : نحن متباعدون بيننا جغرافيا. ولكننا قريبون من بعضنا في القضايا والهموم التي نعانيها كيف تقرأون المغرب ؟

•• قبل عام ١٩٧٠، كنا نسمع كثيرا عن المغرب. كنا نتصل به نضاليا ، وذروة هذا الاتصال تجسد. تاريخيا سنة ١٩٦٥ فقد كانت الانتفاضة الشعبية التي تفجرت في المغرب تمثل ايقاعا منسجما مع انتفاضة الشعب البحريني في ذات العام. هذا التاريخ يمثل بالنسبة لنا تواصلا نضاليا حقيقيا رائعا.

كان الرأي العام العربي والعالمي يتابع أخبار وتطورات الأحداث في المغرب والبحرين معا. كان ذلك إذن أول (قراءة) حميمة للمغرب بالنسبة لنا. واذا كان قد تسنى لنا ، سريعا ، أن نقرأ معطيات تلك الانتفاضة السياسة والفكرية ، فاننا انتظرنا طويلا لكي نقرأ معطياتها الأدبية. ولم تشبع النتف الصغيرة المتباعدة التي كانت مجلة (الآداب) توصلها ، شوقنا الى المغرب.

ولعل ظروف الحصار المتشابهة في وقتها (عندكم وعندنا) كان لها الدور في عدم الاتصال.

وكان أول اتصال مباشر لنا بالمغرب ، حدث عام١٩٧٠، حيث التقيت بالصديق الشاعر عبد اللطيف اللعبي في بيروت يوم كنا ضمن المشتركين في أول ملتقى للشعر الحديث. وقتها تعرفت جيدا بصوت الشباب المغربي الجديد ، الذي كنا نشتاق اليه. واتفقنا على مواصلة هذا اللقاء عبر المراسلة حيث وعدني عبد اللطيف بأنه يبعث لي بمجلة (أنفاس) وانتاجات أدبية أخرى في البريد.

ولقد احتفل الشباب في البحرين فرحين بأنفاس المغرب الشابة. ولكن ذلك لم يستمر طويلا ، فبعد زمن قصير من ذلك اللقاء ذهب عبد اللطيف الى الاعتقال وذهبت أنا الى الاعتقال. في نفس الفترة تقريبا.

ولم ننس الصديق اللعبي ، كما أنه لم ينسني أيضا. حتى في ادق لحظات محنته خطورة.

وصار الشباب هنا يتابعون معي أخبار المغرب الجديد من خلال عبد اللطيف اللعبي باعتباره رمزا للنضالات الثورية عندكم.

أما الآن فنحن نقرأ المغرب بحب واهتمام كبيرين. ونعرف كثير من الأسماء الأدبية التي يزخر بها المجال الشعري والقصصي والنقدي. ونشعر أن الابداع في الأدب المغربي يتميز بتفرد ونقاء قلما يتوفر في انتاجات المشرق. ونتمنى لهذا التفرد أن يستمر، وان يغني الحياة الأدبية على امتداد الوطن العربي. وكثيرا ما ينتابني شعور بالخوف على أدب المغرب وابداعه، خشية أن يبتلي بتصورات الأدب المشرقي ونقاط ضعفه ، وأهم هذه التصورات انعدام الجدية الفكرية في معظم نتاجاته. فإننا نرى الأدباء عندنا يتكلمون كثيرا. ولكن قليلا ما ينتجون إبداعا. وهذه الثرثرة النظرية خاصية ليست في صالح الابداع دائما.

لكن الأكيد أن كل ما توفر من نتاجات أدبكم، وصل الينا هنا. ولكننا في حاجة كبيرة للكثير من كتاباتكم. واصداراتكم ليس في الشعر والقصة والنقد ، كمؤلفات منفصلة في كتب ، ولكن أيضا في حاجة لمجلاتكم ، نتمنى أن تصلنا الثقافة الجديدة ، وآفاق، وغيرها من المجلات الجادة. لذلك لا تحرمونا من هذه المتعة أيها الأصدقاء.

س : يطرح الشعر العربي المعاصر في أكثر من منطقة ، اشكالية التواصل مع القارىء هل تعانون من هذه الاشكالية ؟

•• بالطبع نعاني من هذه الاشكالية. انها ذات السمات التي تسم المجتمع في العالم الثالث. فإن المبدع يكتب بلغة ورؤيا تغايران السائد. في حين أن القارىء قد أدمن السائد من الأدب والفن. لذلك لابد أن تبرز هذه الاشكالية. ليس تمثل همٌ من هموم المبدع عندنا فقط، ولكن لكي يوظفها الرأي المحافظ والمضاد للادب الجديد. باعتبارها ذريعة للهجوم على الكتابات الجديدة، واتهامها بالانفصال عن القارىء، وعدم الاصالة والغموض... الى آخر هذه الحجج التي صارت تقليدا معروفا ليس في الأدب العربي فحسب ، ولكن أيضا في الفكر العربي.

لذلك فقد صارت لدينا تجربة جيدة في معالجة هذه الاشكالية ، ليس بالثرثرة والمزايدات (التي لا تكون بريئة في معظم الأحيان من قبل الرأي الرجعي) ولكننا نعالجها ، بالمزيد من الانتاج الجديد.والمزيد من الابداع المغاير للسائد. وذخيرتنا هنا قطاع كبير من الجمهور الذي يتعاطف مع اتجاهاتنا الفنية والأدبية المجددة. وهذا الجمهور ، كما سبق وذكرت لك ، جمهور واسع ومتعاطف ومتفهم. يلتف حولنا بسبب قناعاته بأننا صوته الحقيقي والأصيل. وحين نقول إننا ضد القديم السائد ، يفهم الجمهور جيدا الرموز التي نعنيها بالقديم السائد. بكل ابعاد هذه الرموز السياسية والاجتماعية والفكرية.

من جهة أخرى يمكننا القول، إن تجربتنا التي امتدت حوالي خمسة عشر عاما ، قد اعطت نتائج ايجابية لا يمكن الاستهانة بها. ويكاد أن يكون الرأي المحافظ مهزوما الآن ، من

الوجهة الفنية.

فالقارىء الآن يتكون ، ببطء ، لكن بعمق واصالة. القارىء الجديد صار بوسعه أن يرفض الحذلقة والافتعال ، في الوقت الذي يرفض الاشكال التقليدية الموروثة السائدة. لم تعد اشكالية التوصيل تحول دون (وصول) القارىء للابداع الجديد. ولعل العامل السياسي يمثل دفعا جيدا لتأسيس قاعدة القارىء الجديد لأدبنا. لكن هذا لا يجب أن يعطي انطباعا بأن القارىء يفرض علينا أن نكتب له أدبا سياسيا شعاريا مباشرا. بالعكس ، إن مثل هذه المسألة لم تعد مقبولة من قبل القارىء الجديد. ولعل هذه الميزة تعتبر من أهم انجازات الأدب الجديد لدينا ، حيث تمكّننا من إقناع القارىء وتربيته على التمسك بالفن الجيد البعيد عن التقريرية السياسية والشعارات.

من هذه الشرفة ، نجد أن إشكالية التوصيل أصبحت تراثا من تراثات الحركة الأدبية الجديدة في البحرين ، وإذا حدث وأثيرت مثل هذه الاشكالات بين وقت وآخر ، انما هي من باب (التنويع) على إيقاع تقليدي. يدفع به الرأي المحافظ ليؤكد لنفسه انه ما زال موجودا. ونحن بالطبع نشك بأنه موجود حقا. وهذا ما يجعلنا نثق أكثر في امكانية ذهابه (؟!)

س : نعرف القليل عن الابداع في البحرين ، ولكن النقد غائب عنا. هل هناك نقد ؟ ما هي إمكانياته ومجالات ممارسته ؟

•• النقد الأدبي في البحرين غائب عن الساحة منذ سنوات طويلة. إلا في بعض الكتابات التي تتعرض لعروض المسرح بين وقت وآخر. واحيانا نطالع مقالة تتعرض لبعض القصص القصيرة. ولم يقترب النقد من الشعر بشكل جاد حتى الآن.

كانت هناك بعض المحاولات النقدية في بداية السبعينات وخاصة من مجال تناول كتابات نهاية الستينات. لكن بعد ذلك لم نقرأ نقدا أدبيا بمعناه العلمي.

والمشكلة هنا لا تمثل أزمة في النقد الأدبي بالذات ، ولكن الأزمة تكمن في غياب حرية النقد عامة. فان أزمة الحرية هي التي تسببت في الوضع الراهن الذي تعيشه حركة النقد. ففي تقديري أن الفسحة التي يحتاجها النقد للحركة ، أكثر من الفسحة التي يمكن أن يتحرك فيها الأدب ، شعرا وقصة. هذا اذا وضعنا في اعتبارنا النقد العلمي الجاد. ذلك النقد الذي يضع الأدب في مواجهة الواقع ، ويخلق الجو ، الفعالية بين القارىء والشاعر (الأديب). فان النقد من شأنه أن يبدع حياة جديدة في النص. هذه الحياة من الخطورة بحيث يجعل امكانات الشاعر والقارىء أكثر احتمالا في الفعل.

مثل هذا النقد يحتاج الى حرية، النقد ليس في مواجهة الكاتب المبدع ، ولكن أيضا في مواجهة الواقع الذي يتوجه اليه النص. هذه الحرية ليست متوفرة لدينا. واذا كان الشعر يحتاج لجرأة فإن النقد هو الآخر يحتاج الى جرأة مضاعفة. وهذا للأسف لم يتوفر حتى الآن في المحاولات التي طرحت نقدا إلا فيما ندر. قد نلحظها في القصة والمسرح (نقدا) لكن في مجال نقد الشعر فان المسألة ما زالت تعاني من الغياب أو القصور في أفضل الاحتمالات.

الأزمة هي أزمة حرية وليست أزمة نقد. ولم أعد واثقا في القول الذي يسحب أزمة النقد في الأدب العربي عامة ، على واقع الحركة النقدية في البحرين، فانني أعتقد بأن امكانات نقدية متوفرة لدينا ، وقابلة للعطاء ، ولكن غياب الحرية هو الذي يحول دون طرح فعالياتها.

بقي أن نقول شيئا عن بعض المحاولات النقدية التي يمارسها بعض الشعراء والقصاصين انفسهم على نتاجات زملائهم. هذه الممارسات تمثل جانبا مهما من فعاليات النقد في البحرين ، لكن المشكلة أن مثل هذه الممارسات لا تستطيع أن تطرح افاقا نقدية متواصلة ولا تؤسس نظرات متكاملة في النقد الأدبي. ناهيك عن أن المسألة لا تخلو من بعض المحاذير التي تتعلق بدرجة الالمام والشمول.

بجانب هذا كله (ورغمه) يمكن القول أن احتمالات بروز النقد الأدبي في البحرين واردة. وهي رهن بالوقت ، وبالمتغيرات الموضوعية والذاتية في واقع الحركة الأدبية والثقافية والسياسية أيضا. فبدون حرية القول من الصعب ولادة حركة نقدية جادة.

س : لن أسألك عن وظيفة الشعر بالنسبة لك ، لأنها واضحة في توجيهاتها. ولكن ألا يمكن أن نلمس بعض تصوراتك للنص الشعري ، إنطلاقا من تجربتك ؟

•• النص الشعري هو مشروع غير مكتمل ، أو هو لا يكتمل على الاطلاق.
إنه الفعالية اللغوية المشحونة بالحياة والخلق. فأنا لا أتصور نصا شعريا وصل ، وسوف يصل ، الى منتهاه كلغة. إنه مشاريع متعددة تجسد طموحا مشروعا لدى الشاعر. هذا الطموح لا يتسنى له الانتهاء (ماديا) إلا بموت الشاعر. هذا الموت ، من جهة ، يوقف الشاعر عن مواصلة الكتابة ، ومن جهة أخرى ، يعطي النص حرية أكبر في التكوين.

وليست هناك أشكال مسبقة عندي وقت الكتابة ، أو قبلها. في لحظة اتصالي بالنص أكون متوجها باللغة نحو خلق مجهول ، أتعرف عليه أثناء العمل ، اندهش بخطوطه وملامحه. وكثيرا جدا ما تكون توقعاتي لاغية بعد إنجاز النص. وبقدر ما يكون النص مغايرا لما كتبته ، مختلفا عن تصوراتي، ولا يشبهني (ماديا) أشعر بأنني نجحت في هذا النص. التخطيط السابق الذي انتهيا به للعمل ينحصر في اندفاعي لخلق مكوناتي الغامضة في لغة. وفيما عدا ذلك لا علاقة لي به ، كموقف مسبق.

النص الشعري ، من هذه الشرفة، من الاتساع والشبكية بحيث لا يدعني أسيطر عليه وقت الفعل. لا يكون النص ، كعناصر، تابعا لي ، لكنني أصير تابعا له ، مستسلما له كخالق.أتحول شعرا فقط ، وأسأل ما هو الشعر ، في نفس الوقت.

• لا أذكر أنني اقتنعت بنص شعري في قصيدة واحدة ، ويبدو لي دوما أن النص الشعري لا يتحدد في قصيدة واحدة. انه يمتد في أكثر من قصيدة ، ربما ثلاث أو أربع قصائد. ثم ان الرؤيا في هذا النص ، حين تشكل عناصر التعامل معها ، لا يمكن أن تكون (هذه العناصر) صالحة للتعامل مع نص آخر. المفاتيح دوما تختلف بين نص وآخر.
• في النص، من الصعوبة القول البداية هنا ، والنهاية هناك. انت لا تستطيع الامساك بأطراف الحلم. النص الشعري نسيج من الحلم. ولهذا استغرب كثيرا حين أقرأ لناقد يدعي

أنه استطاع أن يكتشف اسرار هذا الحلم ــ النص. خاصة ذلك النقد الذي يولع دوما بالتفسير. النص الشعري غير قابل للتفسير على الاطلاق. ولعل هذه هي خطيئة النقد الراهن. بل إنني أعتقد بأن هذا النوع من النقد الذي يحاول أن يفسر الشعر للقارىء ، يساهم في تخريب العلاقة الفعالية بين القارىء والشعر. مما يجعل القارىء يعتاد التفسير مقياسا لجودة النص. فاذا ما فشل في (فهم) النص اعتبران هذا العمل الشعري رديء.

• وقت الكتابة لا أضع في حسباني أن (يفهم) القارىء عملي. هذا الموقف كفيل بتخريب ابداعية الفعل الشعري وجماليته أيضا.

أكتب لأخلق مناخا ، الشعر مناخ وليس طقسا.

الفرق بين الطقس والمناخ. هو الفرق بين العابر والأصيل. حين استطيع أن أدخل القارىء في هذا المناخ. يمكنني القول أن هذا النص ناجح شعريا. ليس ضروريا أن (يفهم) القارىء كل شيء. ان هذا غير قابل للادراك. إن الشاعر نفسه (وهذا يحدث لي دوما) لا يستطيع أن يفهم جزئيات عمله إلا عبر فترات طويلة من المعايشة. إنني مازلت أتمتع باكتشاف جوانب في نصوص قديمة لي بين وقت وآخر. كما لو أن الحياة في حركتها هي التي تكشف لي جوانب العمل الشعري الذي تم إنجازه. وهذا يحدث لي أيضا حين أعاود قراءة نصوص لشعراء آخرين.

• القارىء يستطيع أن (يفهم) مقالا صحفيا. منذ القراءة الأولى لكن هذا لا يحدث مع النص الشعري. إن الأول هو الطقس ، لكن الثاني هو المناخ. النص الشعري ليس طارئا ، إنه دائم.

س : ما هي حدود الابداع في إحداث التحول ؟

•• للابداع العامل الحاسم في التحول. فإذا نظرنا الى الابداع بإعتبار أنه مغايرة السائد والمألوف والثابت ، وتجاوزه ، فاننا نكتشف أن فعالية التحول تتجسد في احداث الابداع ضمن العمل الفني.

ولعل التحولات الجذرية في مراحل الأدب والثقافة العربيين ، يشار اليها متمثلة في اسماء مبدعين معدودين ساهموا بشكل واضح في دفع حركة تلك التحولات، فبدون هذه الابداعات المتناثرة ليس لنا أن ننتظر شيئا جديدا من مجال الكتابة ، لكن ينبغي الان ، بالمنظور النقدي الجديد، أن ننتبه الى أن شكل وطبيعة الابداع في هذا العصر لابد أن يكونا قد تغيّرا عن العصور السابقة ، واختلفت المعايير. فاذا كان أبوتمام مبدعا في عصره ، فإننا لا نتوقع أن يأتي مبدع في مثل ظروفنا الحديثة ليطرح انجازات فنية محددة توسع له ألا يعتبر مبدعا بنفس تلك المقاييس.

بالاضافة ان طبيعة الحياة المعاصرة وتعقد ضوابطها وزخمها بالظاهرات الكتابية ، وكثرة الادباء ، فان طبيعة عمل المبدع اختلفت هي الأخرى. بمعنى أن هذا العصر لا يحتوي ، أو هو لا يحتمل أن يكون متضمنا مبدعين محوريين ، كما هو الشأن بالنسبة لأبي تمام.

هنا قد يكون عدد المبدعين كثيرا كأشخاص، ولكن حجم ابداعهم سيظل منثورا ، متفرقا ، متفاوتا في مجمل انتاجاتهم. صدور الابداع لا يتحدد في أشخاص ، في عصرنا ،

لكنه يندرج في عطاءات وانتاجات ابداعية فحسب.

وبقدر ما يتجاوز هذا الانتاج الاشكال والرؤى السائدة ، وبأدوات جديدة مغايرة، بقدر ما يمثل ذلك ابداعا يحدث التحول. بقي أن نقول إن الحكم على درجة الابداع وتحققها مرهون بالوقت وبالفعالية.

س : للنشر دور أساسي في التواصل بين الابداع القارىء ، نحن نعيش أزمة امكانيات. ما هي امكانياتكم ؟

ـ بكل ثقة يمكنني القول أن امكانياتكم ، برغم كل صعوباتها ، تمثل أفضل كثيرا من امكانياتنا في البحرين. ان الصعوبات التي تواجهنا في نشر نتاجنا تمثل اخطر المشاكل التي نعيشها ، فنحن محرومون من توفر هذه الامكانات حتى في أبسط صورها. ليس لأسباب أزمة حرية التعبير والنشر وغياب الصحافة والصحافة الأدبية ، فقط ، ولكن لأن امكانات اتصالنا بوسائل النشر خارج الوطن صعبة جدا ، وان حدث واتصلنا فإنهم (هناك) لا يغامرون في نشر انتاجنا لأننا أسماء مجهولة.

ومشكلة النشر هذه، سببت وتسبب العديد من حالات الاحباط لدى بعض الشباب. فالكاتب عندما يشعر بأنه يكتب دون أن يصل الى القارىء، فإنه يشعر أخيرا بلا جدوى كتابته ، وغالبا ما يؤدي هذا الى الانصراف الى اهتمامات (أكثر جدوى). وانتم تعرفون أنه في مثل طبيعة مجتمعاتنا الاستهلاكية ، والرأسمالية الأطر ، فإن الاهتمامات (الأكثر جدوى) غالبا ما تكون مسائل مضادة للأدب والثقافة ، ولكم أن تتصوروا الوضع في حالة أن يكون الكاتب مبتدئا ، وضعيف البنية الفكرية، وقناعاته بالكتابة (كانت) تحتاج لتكريس أكثر.؟

إن هذه المشكلة تمثل هاجساً خطيرا ، لا تكون عواقبه دوما سليمة. إننا نواجه هنا حصارا منظما مضادا لفعاليات الكتابة.

ونحسدكم على (الصعوبات الجميلة) التي تواجهونها في ظروفكم. ؟!

أنجز اللقاء محمد بنيس